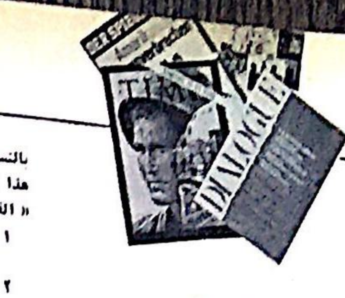

التضليل الاعلامي

تطورت شركات نشر ضخمة ولكن في نفس الوقت كان هناك انخفاض في عدد الصحف اليومية وازدياد ملحوظ في تأثير الدعاية ـ الخاصة والحكومية ـ في الصحافة ، وفي عام ١٩٤٧ كان في كاراكاس ٨ صحف يومية للتوزيع القومي واليوم يوجد ٥ . ولكن منذ ٢٠ سنة خلت كان ٥٠٪ من الدخل الصحافي ياتي من التوزيع اليوم ١٥٪ . وفي عام ١٩٣٧ استثمر ٢٤ مليون بوليفار(٧) (عملة فنزويلا تعادل ٢٢٤، دولار) استثمرت في الدعاية . وفي عام ١٩٦٧ استثمر في شهر واحد ٤٠ مليون بوليفار . وننشر هنا هذا التصريح لرئيس جمعية الصحافيين الفنزويليين :

« ان زيادة هذه المداخيل من الدعاية كان لها تاثير كبير على تأقلم صحفنا ، كما تعلمون فان الاقتصاد الفنزويلي معتمد على الاقتصاد الامركي الذي يمتلك اكثر من نصف استثمارات امركا اللاتينية في بلدنا . هذه الحقيقة وحدها تساعدنا على تفهم التأثير الضخم الذي تمارسه الولايات المتحدة على وسائلنا الجماهيرية للاتصال » .

وفي كولومبيا ، تنشر تقريبا ٣٠ صحيفة يومية و ١٢ نشرة اسبوعية . وتدار الصحافة من قبل مالكي ٤ نشرات دولية كبيرة في بوغوتا . والذين هم ايضا مالكو البلد ، كلهم كانوا رؤساء الجمهورية او ممثلين في البرلمان .

سانتوس ، اوسبينا ، غوميز ، لوريدا او كانو ـ اي منهم يظهر كمالك لـ « الصحافة الكولومبية العظمى » وكلهم يعملون معا للدفاع عن الراسمالية والمصالح الاجنبية .

وفي الارجنتين فان الصحف اليومية الخمس مع النشر الوطنية وجهية (لابرنسا ـ لا ناسيون كلارين ـ لارازون ـ وكرونيكا) كلها تحمل الوافر من الدعاية للشركات الامبريالية . وفي اخبارها يستخدم بعضها يونايتد برس انترناشيونال بامتياز خاص .

وفي بيونس ايرس ، تستخدم ١٢ محطة رادبو فقط الاخبار المحضرة من قبل وكالات الاميركان ، وسكرتير الصحافة للرئاسة لبرامج اخبارهم . وفي بعض القنالات التلفزيونية الاربعة للعاصمة هناك سيطرة مباشرة امركية : مثلا مجموعة « تايم ـ لايف » لها راسمال استثماري في قنال ١٣ كما في سلسلة أ.ب.ث في قنال ١١ .

في مجال المجلات ينشر ٧٠٠ عنوان شركة ولكن العناوين الرئيسية هي للشركات الامركية ، والناشرون (ابريل) براسمال من (تايم ـ لايف) ينشرون ١٢ نشرة (مجلات نسائية ، ورياضية ، واسبوعية بانوراما ، وسيبت دياس) ولدى اتلانتيكا بالبشنغ هاوس المرتبطة مع « لوك » ١٢ نشرة بينما تنشر « الريدرز دايجست » طبعة اسبانية مباشرة .

في هذا الهيكل ، يظهر اتجاه الدكتاتورية العسكرية زائدا في « تجميد القانون الشيوعي رقم ١٧٤٠١ » الذي وضعه عام ١٩٦٧ والذي تمنع فيه الاشخاص المدرجين تحت هذه الصفة من « امتلاك مطبوعات نشر ، اجهزة ارسال راديو ، قنالات تلفزيون او نشرات واعلانات » .

وفي المكسيك ، لم تنج اي صحيفة يومية او نشرة أسبوعية او شهرية من الرقابة الرسمية منذ عام ١٨٨٥ . وهذه الرقابة تمارس من خلال الاعلانات ، الحسابات المدينة للصحيفة من خلال القروض ، وهذه عبارة عن تمويه سهل ليغطي الكلمة البشعة ، وهي الرشوة .

وفي الاخبار الاجنبية ، تستعمل النشرات الدورية خدمات الوكالات الامركية تقريبا بامتياز بينما تنشر المواد الغير الثقافية (الهزلية) في طبعات « ميلتون » اسبوعية .

في البرازيل ، ٢٩٠ نشرة دورية ، ٩٤٤ محطة اذاعة و ٣٠ قنال تلفزيوني كلها متحدثة رسمية باسم الراسماليين ، مع ان ذلك ليس كافيا بالنسبة للطغيان ، الذي في شهر كانون ثاني من هذا العام اصدر رقابة عسكرية على اسس « القرارات العشرة » التالية :

١ ـ من الضروري احترام « الثورة » (الانقلاب العسكري) لآذار ١٩٦٤ .
٢ ـ ممنوع نشر اخبار تخص نشاط الكهنة والمدلول السياسي لهذا النشاط .
٣ ـ ممنوع نشر تقارير عن الحركة الطلابية .
٤ ـ ممنوع نقد « القرارات الدستورية » (قرارات الدكتاتورية) .
٥ ـ على الاخبار ان تشير فقط الى « الحقائق المنتهية » .
٦ ـ ممنوع نشر اخبار « خاطئة ، معقدة ، او غير واضحة » .
٨ ـ الاشخاص المحرومون من حقوق المواطنة يمنعون عن الكتابة .
٨ ـ النشرات عن الحركة العمالية ممنوعة .
٩ ـ ممنوع ذكر اسماء اشخاص حرموا من حق المواطنة حتى في حالة مقابلات اجتماعية ، تعميد ، مسابقات او حفلات تخريج جامعيين .
١٠ ـ اعتقال اشخاص حرموا من حق المواطنة ينشر فقط في حالة التصريح بذلك .

من خلال ادوات التضليل الامبريالي ، العمل الاكبر يتم بواسطة «وكالة الاستعلامات الامركية» التي انشئت في آب ١٩٥٣ حسب توجيه من مجلس الامن الوطني « بهدف تزويد البراهين لشعوب الدول الاخرى بواسطة وسائل الاتصال، ان اهداف السياسة الامركية هي في تلازم مع نهضتهم وآمالهم القانونية في الحرية ، التقدم والسلام » .

وكالات الاستعلام الامـيركية

ومن المستحيل تقريبا ان نعرف كل هذه الاكاذيب في كلمات قليلة فان وكالات الاستعلامات الامركية المرتبطة بالسفارات الامركية لها دوائر صحافية ، رادبو ، افلام وتلفزيون وتعمل في جميع انحاء امركا اللاتينية ما عدا كوبا ، وتعمل في عدد كبير من الاقطار الاسيوية ، الافريقية والاوروبية (هناك حتى في يوغوسلافيا) .

عدا عن المعلومات المصدرة ، فان العمل الاساسي لمكتب الاستعلامات الامركية موجه لرشوة وافساد الصحافيين ومن المهم ان تعلم ان اثنين من اهم اقسامها هما « الامن » و « الاستخبارات » .

وفي بعض الاقطار اتهم مكتب الاستعلامات الامركية بمنافسته للصحافيين المحليين كما حدث في بوليفيا في مجرى هذا العام . في تشيلي بدأ مكتب الصحافة الرئاسي (الجمهوري) بتوزيع مواد المكتب المذكور خالقا نفس الحالة .

وفي قارة لا زالت ترتعي مع الامية ، فان العمل الاجتماعي والثقافي (المضلل) للرادبو قد عزز كثيرا بالاستعمال الجماهيري للسينما والصور التلفزيونية .

الدعاية المعادية للشيوعية والواصفة لطريقة الحياة الامركية تشكلان الموضوع الاساسي للايين وملايين الناظر على شاشة التلفزيون عبر امركا اللاتينية .

كما وضح فيكتور بيرلو :

« ان افلام هوليوود التي تمثل الولايات المتحدة كبلد اصحاب الاموال الذين يسافرون في سيارات ليموزين لامعة ويعيشون في قصور حديثة والتي ترفع من شان العصابات والاغتيالات ، لافتات الكوكاكولا التي تشوه الطرق العامة من كاراكاس الى كايرو ، هذه هي علامات الثقافة الامبريالية الحالية . (هذا العام رأينا أيضا الكوكاكولا تعرف بعظمة وجلالة في هنغاريا الاشتراكية) . هذه هي الافلام ، والقصص والمجلات المصورة وغيرها من النشرات ، الرادبو والدعاية المعروضة على المجال الجماهيري الواسع. هذه هي الوسائل المتشابكة المستعملة في محاولة لتحطيم معنويات المقاومة ولربح مؤيدين في شبه المستعمرات ، وهكذا يحصلون على ربح ضخم لاجزاء مهمة من الراسمال » .

ان الصورة المرئية لها قوة دعائية خارقة للعادة حيث انه كما هو مفروض بها ان تعكس الحقيقة . ولهذا السبب تستعمل على نطاق واسع في وسائل الاتصال الامبريالي ، والتي تحولها الى اداة صراع عقائدي وسياسي . وبالتحديد ، التصوير التجاري يشوه الحقيقة . ونذكر الادانة الرسمية بالنسبة لهذا الموضوع من اول مؤتمر لـ :

« ان العالم الامركي اللاتيني هو بالنسبة للتصوير الامبريالي ، جنة عذراء وحساسة في دليل السياح والدعاية التجارية . ان عامل السفن الذي يحمل الفاكهة ، الذي يحمل ضمة الموز ، شخص رفيع .. والفلاح الذي يعلن عن القهوة ، بلباسه الانيق رفيع ايضا . ولا شيء يذكر عن اضرابات عمال المناجم ولا عن الامراض السارية في البرازيل . واراضينا تبدو كمثال مشرق مسكونة ببشر كاملين ، يقدمون احتمالات هائلة للرخاء والمغامرة لامركا لاتينية مشوهة خاطئة » .

برنامج الهزليات .. « الكوميك »

ان الامتداد العقائدي للامبريالية يستخدم البرامج الهزلية بشكل جماهيري واسع . والقصة القصيرة التي وصفها احدهم بـ « سم في العلب » والقصة الهزلية التي تحولت الى امتياز تجاري امتدت الى جميع انحاء امركا اللاتينية . هكذا تلعب في بلادنا دور المتحدث الرسمي لـ « طريقة الحياة في امركا » وايضا تدق بالحاح واستمرار على عقول قارئيها (ليس فقط الاطفال) الشعارات المعظمة لاكثر السياسات اليمينية بدائية ، العنصرية ، العسكرية ، واللاشيوعية . ولتحقيق اهدافها ، تعمل القصص الهزلية مع مخزن من المصادر عن علم الامراض النفسية لا يستغنى عنه لخلق حاجات مصطنعة لدى القارىء ولتزويده بمخرج من الكتب الذي لدى جيل لا يزال غريبا عن الوسائل الاكثر انتاجا لتمضية الوقت .

وقد اصبحت القصص الهزلية المولودة في نهاية القرن الماضي صناعة اقوى ومتطورة . وحتى عام ١٩٥٤ وصل التوزيع في الولايات المتحدة الى ٩٠ مليون ، والراسمال المستثمر لم يكن اقل من ٥٠٠ مليون دولار ، وهكذا يفهم ان هذه الاداب حاملة « اللاثقافة » تحظى بموافقة احدى المجلات ، وهي التابعة لدائرة التعليم .

ثم ، اعلنت مجموعة من « الخبراء » تقريرا محبذا : مثلا « للمراة المدهشة » شخصية امرأة شاذة في قصة واحدة . وقد عبر البروفسور وليم مولتون مارستون عن فكره : « ان الطبيعة الحقيقية للرجل يرغب في امراة قوية التي يستطيع ان يتواضع امامها وهكذا ، هذا الشكل من المراة الخارقة هو كامل الصلاحية » . ويشير لها الدكتور لوريتا بندر بـ « مفهوم موحد متطور للانوثة والرجولة » . و « الخبراء » المفترضون اعطوا موافقتهم لشخصية « باتمان » في القصص الهزلية ، الافلام والتلفزيون بالملاحم الواضحة من « الشذوذ عند الرجل » .

وتعرض القصص الهزلية تنويعا في الشخصيات والمواضيع ، من مجرى اللاشيوعية في « سولار » الى الشخصيات الواضحة في براءتها في « ميكي ماوس » او « العم سكروج » . وقد حذر مبكرا في عام ١٩٣٦ جورج سادول قائلا :

« من خلال الرسومات البرقية لشخصيات « الكرتون » المنشورة بواسطة مختلف انواع الصحافة والشركات المختصة بالاطفال الامركان . فان الشكل (الهيكل) القبيح لـ « هيرست » يظهر احيانا ـ وهو واجهة الصحافة الامركية ، والرادبو والافلام الذي صنع ثروته باستخدام الفضائح والشر والذي عدوه الاول هو فرنسا ـ التي رفضت السماح له ان يبقى هناك ـ والمعادي اللدود للديمقراطية روزفلت ، واكثر المعلنين نقدا في بلده والعالم ، لهتلر والفاشية . وهكذا فان خيال فار صغير بريء يستطيع ان يخبىء وحش هتلري كبير وضخم » .

والثانية بعد مكسيكو ، اختيرت تشيلي كالنافورة لتغمر امركا اللاتينية بالقصص اليانكية واقوى ناشرين : زيغ زاغ ، ولورد كوشرام ، لديهم اتفاقية مع منتجات والت ديزني وكنغ فيشرز سينديكات . التي ترسل الصور الاصلية لتترجم وتطبع في تشيلي . وتصدر زيغ زاغ الى بوليفيا والبيرو واوروغواي . وتصدر لورد كوشران لجميع امركا اللاتينية ما عدا غواي ، كولومبيا وهندوراس . والشركتان تنشران اكثر من ٤٠ نشرة . ويجب ان نضيف ان … والت ديزني وكنغ فيشرز معا تسيطران على السوق العالمي من (الكوميكز) .

وفي كلمات اوسع : هذا تحليل … الوسائل الامركية اللاتينية . ومن … تطورت الصحافة التي ولدت مع حروب … من اسبانيا . وفي تشيلي ، اول صحيفة … ولدت مباشرة بعد اعلان الاستقلال ، … مكسيكو حمل ميدا مؤسسة صحافية … ليحارب مع الكاهن هيدوالغو مثل … سال في جملة مشهورة عن : « ورق … وبصنع رصاصات » .

وعدا عن اتخاذ طابع الراسمالية ، … الصحافة تقلل من قيمة نفسها كلما … كل من ينتجها . وقد صدق جيرنارد … شيكا عندما قال :

« ان التطور الصناعي لم يتسبب … خبرة الصحافيين ، لانهم يكونوا … صناعة كبرى ، لا هنع منه انتاج مشوه … تفقده فقط حرية الصحافة ، بل … دوره التاريخي كمحرر ومرشد للشعب …

الصحافي المحترف في امركا اللاتينية … هو ليس الا عبدا ذكيا يحب نفسه … يعبر عن رأي رئيسه . ومكانه هو غرف … وهناك من يتمرد وهناك من يسلم … والمشكلة ورائه في النظام .

وقال اوبتون سنكلير :

« يعرف الصحافي المحترف بالرجل … في اية لحظة ان يلائم افكاره مع … الجديد . سمعت آثر بريسبان يؤكد ان … نيويورك تايمز قد يبعث في عدة مناسبات … في كل مرة بيع محررها مع الجريدة . … عندما يقرأ الانسان مقالات هذا المحرر … فانه يرى أنها رزينة وشريفة ، حتى انه لن … انه لا يقرأ افكار هذا الرجل الحقيقية » .

على أي حال ، من المشجع ان نلاحظ … لبعض السنين الان وخاصة منذ الثورة الكوبية … هناك عدد متزايد من الصحافيين اللاتين … اصبحوا واعين لحقائق بلادهم ويفهمون … وسيستعيدون عزتها فقط عندما تتحرر بلاد… من السيطرة والامبريالية والانظمة القاتلة … وبوعيهم السياسي سيعامل هؤلاء مع … المسلح . وان فابوسيو ، اوجيدا وجورج … ماسيتي ، هيكتور بيجار هم امثلة واضحة … هؤلاء الصحافيين الذين يرفضون الاستعمار … سفينة العبيد الحديثة .

(١) مصرع الحرية ـ جاك كايسر
(٣) في بعض البلدان مثل تشيلي واوروغواي فان البرجوازيين في السلطة يسمح… بتوزيع صحافة حرة ورسمية ، والتي … على اي حال ملاحقة باستمرار ورسميا … رسميا . في باقي امركا اللاتينية لا يوجد … هناك ، مثلا ، صحف للحزب الشيوعي … او الحركات الثورية . وفي هذا … (المضمون) الطبقات الحاكمة لا تعرف… نقط الشعب الامكانية المادية للنشر … تعبيرهم ولكن بالاضافة لتنعيم بوسائل … القوانين الرادعة ، وما يسمى بحرية … الصحافة تحت النظام الراسمالي هو … أعظم أساطير النظام .
(٤) تعداد المجلات الامركية الكبيرة .
(٥) العملة التشيلية اسكودو (ذكرت) .
(٦) خلقت في عام ١٩٤٢ وانشئت اولا … هافانا تحت حكم باتيستا ، وقد … الـ اس.آي.بي طبيعيا رجال الاعمال … الصحافة القارية وهي واحدة من … الادوات تأثيرا للامبريالية في حقل … الاتصال . ويمتد حقل عملها في … ايضا . ولم يكن خسارة هذا … البارز الذي كان فيها ، حتى موت … المسمى « كولونيل » جوليوس دبواء … عميل الـ سي.آي.اي متخفي كصحافي … واخذت الـ اس.آي.بي دورا مباشرا في … الانقلاب العسكري للغوريلاس الذين … بالرئيس جواو غولارت من البرازيل .
والمنظمة الشبيهة بالـ سي.آي.بي … الـ اي.آي.ار التي توحد صناعات الاذاعة … في القارة .
(٧) العملة الفنزويلية بوليفار (ذكرت) .

تطورات الوضع في بوليفيا : صراع يتداخل فيه الراديكاليون مع اليمين مع الضغط الاميركي

« يجب ان لا تتحول بوليفيا الى كوبا ثانية » : كان هذا هو مضمون الانذار الذي وجهه قائد فوج ماكس توليدو باسم الوحدات العسكرية الرئيسية في الجيش البوليفي للرئيس توريز في الاسبوع الماضي ، وذلك في وثيقة من خمس نقاط تقول بتمسك الحكومة بالسلطة ، وبعدم التنازل للمنظمات العمالية والطلابية ، ومنع تنفيذ خطة تشكيل ميليشيا مسلحة ووعدا بان لا تصبح بوليفيا كوبا ثانية .

وهذه الوثيقة تعكس في الواقع ، الضغوطات التي يتعرض لها توريز منذ تسلمه السلطة بانقلاب مضاد لانقلاب عسكري يميني اطاح بالجنرال اوفاندو ، ورافقته موجة من الدعم الشعبي ، من جهة المنظمات الطلابية والعمالية اليسارية والاحزاب الليبرالية والتقدمية اليسارية ايضا ، وذلك لحركته المضادة للانقلاب اليميني الامركي المخطط ، وللشعارات الثورية التي رفعهاوالوعد الذي قطعه بوضع حد « للاعتماد على الاجنبي » وبتاميم المؤسسات الاجنبية في بوليفيا .

ولكن اذا كان الانقلاب الاخير في بوليفيا لم يسبب ذات الدرجة من القلق لواشنطن الذي سببه تسلم الماركسي الليندي ، السلطه في تشيلي ، انطلاقا من معرفة حقيقة توجهات ونوايا الجنرال توريز ، والتي تكشف يوما بعد يوم ، الا ان المسؤولين في واشنطن يعترفون بان ما حصل في بوليفيا لن يشكل تهديدا لمصالحها هناك وفي امركا اللاتينية بشكل عام ، بل ان الخطر عليها سيكون على المدى البعيد .

ففي خلال جلسة عمل مع مدراء صحف الغرب الاوسط ، في واشنطن ، قال احد مساعدي الرئيس نيكسون : « نحن نخشى ان يؤدي انشاء نظام شيوعي في تشيلي الى تسهيل ظهور انظمة مماثلة في الارجنتين والبيرو وبوليفيا » . وهذا التصريح سبق استلام الجنرال توريز السلطة في بوليفيا ، ومع ذلك فان الحدث لم يغير الولويات الهموم بالنسبة للمسؤولين الامركيين، اذ يقول خبراء البنتاغون ان بوليفيا قد شهدت ١٨٦ انقلابا خلال ١٤٥ سنة ، وان انقلابا يمكن ان ينسفه انقلاب آخر . ويصف هؤلاء الجنرال توريز بانه « انتهازي من الدرجة الاولى » ، يستطيع ان يلعب اليوم الورقة الثورية ، ثم ينقض على اعدائه غدا . ويذكر هؤلاء في هذا المجال ان توريز كان من الذين اعدوا بمساعدة المستشارين الامركيين العملية المضادة للعصابات المسلحة التي قتل خلالها تشي غيفارا في عام ١٩٦٧ ، وصوت توريز انذاك مع اعدام جيفارا ، وسيطر على عملية بيع حقوق نشر « يوميات غيفارا » الشهيرة !

تحفظ اميركي على الحكم

ومع ذلك هناك بعض التحفظ لدى المسؤولين الامركيين على اساس ان الجنرال اوفاندو الذي كان قائدا للجيش انذاك يامر او يقود حملات مكافحة العصابات المسلحة ، قد استعمل بدوره عندما تسلم السلطة (في ايلول ١٩٦٩) ورقة معاداة الولايات المتحدة ـ الورقة الرابحة في امركا اللااتينية ـ قد اتخذ بعض الاجراءات المضادة للمصالح الامركية ، وان كانت لم تكن بمستوى ما وعد به عندما كان يسعى لتثبيت دعائم حكمه . وواشنطن عندما تقول بالتحفظ تجاه سلطة ما ، فان هذا يعني ان المساعي العملية تجري على قدم وساق ، وعلى مستويات مختلفة، اما لاسقاط الحكم او لاحتوائه :

● ففي اوائل هذا الشهر كان ثلاثة جنرالات يتصارعون على السلطة في البلاد : الجنرال اوفاندو ، الرئيس ، والجنرال توريز الاكثر « راديكالية » والجنرال ميراندا اليميني ، ويمثل المحافظين والمصالح الامركية . وفي ٦ تشرين الاول عين الجنرال ميراندا نفسه وثلاثة عسكريين يمينيين ، الممثلين الشرعيين للشعب !

وفي الوقت ذاته ، اعلن الجنرال توريز نفسه رئيس المجلس « الثوري » لبوليفيا ، واصدر اوامره بقصف القصر الجمهوري . ولم يطل الصراع على السلطة اكثر من ٢٢ ساعة ، هرب خلالها الرئيس اوفاندو والتجا الى السفارة الارجنتينية في لاباز ، ثم استسلمت زمرة ميراندا بعد ان هدد توريز بقصف مركز قيادة القوات المسلحة بقوات الطيران .

وفور هذا التنازل المزدوج وسيطرة توريز على الحكم اجتاحت لاباز العاصمة والمدن البوليفية الاخرى ، موجة تاييد شعبية ، تميزت بتاييد الليبراليين والنقابات العمالية والمنظمات الطلابية اليسارية والاحزاب التقدمية ، وضمن توريز قاعدة شعبية قوية تسنده في الفترة الاولى التي تتطلب تثبيت ركائز حكمه .

ولم يكن توريز لهذا قادرا على وقف الطلبة المسلحين والعمال ، ورجال العصابات المسلحة المنتمين لجيش التحرير الوطني البوليفي (الذي اسسه غيفارا) في نشاطهم العلني في الشوارع بين الجماهير ، يقتحمون مراكز الشرطة ويتلفون الملفات ، ويرغمون المسؤولين المحليين الموالين للولايات المتحدة على الاستقالة . وذكر ان المسلحين من طلبة ومن اعضاء في جيش التحرير احتلوا مكاتب مكتب المعلومات الامركي في اورورو ، مدينة المناجم ، وفي كوشابامبا ، واغلقوا مراكز النشاط الدعائي والاستخباري الامركية ، واحتلوا المباني التي يملكها الامركيون ، كما استولوا على عدد من الصحف في لاباز ، وهي الان صحف ناطقة بلسان الاي . ال . أ . ـ جيش التحرير البوليفي ـ وتصدرها تعاونيات عمالية.

توريز يتفرج واميركا تفهم

وكان توريز وقوانه يتفرجون على هذا النشاط الشعبي غير قادرين على قمعه في هذا الوقت بالذات دون كشف حقيقة « هويته اليسارية » ، التي تفيده اليوم لصيانة تاييد الوطنيين والتقدميين الذين يطالبون بالاصلاح ، وتاييد النقابات العمالية والمنظمات الطلابية والاحزاب اليسارية ـ حاليا ـ المعباة والمنظمة والتي من شانها اذا لم تكبح ، ان تشكل تهديدا لحكمه وتساعد في التعجيل على خلق الظروف للمشاركة الجماهيرية في ثورة شعبية تعي اليمين البوليفي خطرها ، وتعي واشنطن اثارها الخطيرة على صعيد دول امركا اللاتينية الاخرى . ولهذا السبب كانت تسمع في الايام الاولى لانقلاب توريز، من محطات الاذاعة البوليفية التي ساعد جنوده الطلبة على تحريرها من رجال ميراندا ، تذيع : « روح تشي حية » .

وقد تفهمت واشنطن موقف توريز . وانعكس هذا التفاهم عندما صرح توريز في مؤتمره الصحفي الاول بانه سيؤمم المصارف البوليفية ولكنه سيستمر في دفع التعويضات لشركة « غالف اويل» الامركية ـ التي تبلغ ٧٨ مليون دولار ـ والتي وعد اوفاندو بدفعها عندما « وعى بانه اخطا » في تاميم شركة امركية تقف وراءها قوات البحرية الامركية . .

● لقد فعل توريز ما هو « ضروري » ان يفعله ليحافظ على سلطته . فقد وعد مثل اوفاندو من قبله ، بسياسة « ثورية وطنية » ، يدافع عن مصالح بوليفيا ضد التطرف في الداخل (دون تحديد) وضد الامبريالية . ولكن المراقبين لا يعطون حكمه املا كبيرا بالاستمرار لفترة طويلة.

ومن قبله ، قام اوفاندو خلال الاشهر الاولى من تسلمه السلطة بتحقيق بعض الاصلاحات لارضاء القوى الوطنية التقدمية والقوى اليسارية الثورية ، اثارت عليه في الوقت ذاته نقمة اليمين ، وخاصة في القوات المسلحة ، وبدات تحاك خطط تحويله او اسقاطه . فقد امم شركة غالف اويل ، ثم اقام علاقات تجارية مع الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا ، وسمح باجراء سياسة اكثر حرية .

قصة غالف اويل

ولكن ما ان بدا الجنرالات اليمينيون بالاعداد للتدخل ، تبنى العمال والطلبة مواقفا اكثر صلابة وعنفا لصيانة ذلك الجو السياسي الذي اعطاهم بعض الحرية في العمل . ولكن عناصر اليمين راحت تفتعل الاضطرابات لزيادة الضغط على اوفاندو وخلق الظروف للمزيد من القمع العسكري ، هذا في الوقت الذي كانت تزداد حدة الضغوط على اوفاندو للتعويض على « غالف اويل » .

وعندما وافق اوفاندو على التعويض في ١١ ايلول الماضي ، كان ذلك اشارة بنجاح ضغوطات اليمين وواشنطن وعجزه عن مواجهتها . بينما كان قبل شهرين من ذلك التاريخ ، في تموز الماضي ، قد رضخ لمطالب جيش التحرير الوطني البوليفي ولضغوطات المانيا الغربية ، عندما وافق على اطلاق معتقلين سياسيين مقابل استرداد تقنيين اثنين ، من المانيا الغربية ، كانت قد اختطفتهم قوات جيش التحرير ، كذلك كان قد رضخ لضغوطات اليمين عندما عزل الجنرال توريز كقائد للجيش ، وعين مكانه الجنرال ميراندا اليميني المعروف بولائه لواشنطن وبارتباطاته مع العسكريين الارجنتينيين .

وفي ايلول الماضي كان التوقع السائد في بوليفيا ان انقلابا عسكريا اصبح وشيكا وان المسالة مسالة ايام لا اكثر . وازداد نشاط العناصر اليمينية ، في الوقت الذي كانت توضع فيه اللامح النهائية للانقلاب اليميني ، لان واشنطن تفضل في بوليفيا حكما « اكثر اذعانا واكثر سهولة للانقياد » على حكم اوفاندو الضعيف والمتذبذب في مواقفه .. .

● واعتبرت اعادة ميراندا ـ الذي استمر ٢٤ ساعة ـ انتصارا لواشنطن وانتصارا شخصيا للسفير الامركي في لاباز ، ارنست سيراكوزا ، الذي توفر له واشنطن كل الامكانات للعمل . فلدى سيراكوزا فريق عمل يتالف من بضعة مئات من المسؤولين والمستشارين الامركيين الاعضاء في منظمات مدنية وعسكرية مختلفة في الولايات المتحدة : اعضاء في مراكز مكتب المعلومات الامركي ، وكالة التنمية الدولية (ايد) « التحالف من اجل التطور » ، فيالق السلام ، وخبراء تدريب في تكتيكات مكافحة حرب العصابات ، وعملاء من وكالة الاستخبارات المركزية الامركية ، ومن الاف . بي . اي .

(مكتب التحقيقات الفدرالي) وكان سيراكوزا قد لعب دورا « هاما » في البيرو ، في المرحلة الاولى من المفاوضات بين حكومة فالسكو وواشنطن ، بعد تاميم الاي . بي . سي . ولكنه عين في لاباز سفيرا فور تسلم اوفاندو السلطة في ايلول ١٩٦٩ . وهو يعمل منذ ذلك الوقت لاصلاح اوفاندو وتحويله الى « الطريق الصحيح » ، وكانت اهم نتيجة لتلك المحاولات موافقة اوفاندو في ايلول الماضي بالتعويض على « غالف اويل ». ولكنه في الوقت ذاته عمل واشرف على عملية الاطاحة به والمجيء بالجنرال ميراندا الى الحكم لكون ولائه مضمونا اكثر . ولكن انتصار سيراكوز دام يوما واحدا عندما ظهر الجنرال توريز في حلبة الصراع على السلطة ، وتمكن من انتزاع السلطة لنفسه .

.. واميركا راضية ؟

ومع ذلك ، فقد صرحت واشنطن على ان تعترف بنظام توريز دون تردد رغم تفشيله لانقلابها . فواشنطن مطمئنة الى ان توريز في بوليفيا الذي جاء على اكتاف الجماهير ، هو مثل الرئيس السابق استنسورو في عام ١٩٥٢ ، سيصبح « فاليسكو بوليفي » اذا لم يثبت انه افضل من ذلك . وهذا التفاؤل النسبي لا يعود الى الدور الذي لعبه توريز من قبل في القوات المسلحة البوليفية ، في مكافحة العصابات المسلحة ، بل الى تصريحاته المتعددة التي يبين منها سعيه لارضاء اليمين العسكري والصدم التدريجي للقوى التقدمية واليسارية التي ايدته بشدة في أول الامر . فهو الى جانب تطمينه « لغالف اويل » بحرصه على دفع تعويضاتها قد اعلن « حرصه على عدم خسارة ثقة العالم المالي الغربي » ، وتجنب الاجابة المفصلة حول تاميم المصارف ، امتدح لدور التمويلات الدولية ، واعلن اعتماده قانون للاستثمارات « يؤمم تدريجيا الراسمال الاجنبي » ، مما شكل دلائل كافية لواشنطن للبدء بعملية التطويق والاحتواء ، ومحاولة كبح اليمين المسيطر على القوات المسلحة البوليفية عن اية محاولة للاطاحة به ، « اذا ما اثبت جدارته » .

فبالنسبة لواشنطن ، اكتسبت بوليفيا اهمية استراتيجية اكبر منذ التطور الاخير في التشيلي الذي اوصل الى السلطة سلفادور الليندي الماركسي المعلن ، ومرشح الجبهة الشعبية .

وكان اليمين والبنتاغون والعسكريون في الارجنتين يسعون لتحويل بوليفيا الى حصن متين في منطقة الانديز ضد انتشار الحركة الوطنية اليسارية في المثلث الذي يضم التشيلي وبوليفيا والبيرو ، وبالتالي الامتداد الى مسافات ابعد في امركا اللاتينية . ومستقبل حكم الجنرال توريز حاليا يعتمد على مدى اثباته بسهولة الحصن الحصين ضد انتشار الحركة الوطنية « اذعانه وانقياده » واستعداده لان تكون بوليفيا اليسارية في المنطقة .